«مؤتمر مدريد»: بداية لمسار طويل

اذا كانت موافقة الاطراف المعنيّة بعملية التسوية السياسية في الشرق الاوسط، وآخرها اسرائيل، على تلبية الدعوة التي وجّهها كل من الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي، في حينه، الى الاطراف للمشاركة في مؤتمر للسلام، قررا عقده في العاصمة الاسبانية، مدريد، في الثلاثين من شهر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي شكّلت نهاية ناجحة لمسار عرف الكثير من حالات الصعود والهبوط في الجهود المبذولة لتقريب وجهات النظر بين الاطراف، والكثير من الاثارة، بفعل الاصرار الاسرائيلي على افراغ المؤتمر من أي مضمون؛ فان هذه النهاية (عقد المؤتمر ومداولاته) شكّلت، بدورها، بداية لمسار جديد، في مجرى الصراع العربي ـ الاسرائيلي وجهود السلام في المنطقة؛ اذ لأول مرة تبدأ مفاوضات مباشرة وثنائية بين اسرائيل، من جهة، وكل من سوريا ولبنان والاردن والفلسطينيين، من جهة أخرى.

ورأى المعلّق الصحفي، غدعون سامط، ان تشكيك البعض في فرص نجاح الجهود لعقد مؤتمر السلام، لأن «هذه المحادثات تتناقض، ظاهرياً، مع ارادة معظم الاطراف» (هآرتس، ٢٣/١٠/١٩٩١)، يتجاهل حقيقة انه «ما كان الاميركيون لينجحوا في جمع كل الاطراف في قاعة واحدة فقط بواسطة خليط من الترغيب والترهيب»، بل لأن «المفاوضات من أجل تسوية النزاعات القديمة أضحت، الآن، جزءاً من تيار جارف وواسع للتاريخ المعاصر. فالضغط من أجل حل القضايا القومية وتسوية نزاعات الحدود، لا يسمح بأن يتركنا في المؤخرة» (المصدر نفسه).

وبينما رأى سامط ان الامور تحصل على الرغم من انه يبدو ان ليس لها فرصة في الحصول، ذلك «لأن اندفاع وزخم التوجّهات الكبيرة يبقى أقوى بكثير من التفاصيل التي تتشكّل منها» (المصدر نفسه)، الاّ ان معلّقاً صحفياً آخر، هو تيدي برويس، خالفه الرأي، حيث لم ير في عقد المؤتمر بمثابة ابرام عقد زواج بين طرفي الصراع «ولم يبق سوى الانتظار تسعة شهور لرؤية اذا كان المولود ذكراً أو انثى» (دافار، ٢٢/١٠/١٩٩١). فكل ما في الأمر، وفقاً لبرويس، «هو ان والدي العريس والعروس وافقا على الالتقاء بحضور طرف ثالث للاشراف على لياقة وعذرية ذوي الشأن» (المصدر نفسه. ولذا، اعتبر برويس ان اطلاق «صرخات الأسى» عن «الخطر الفظيع» و«تنفس الصعداء» لأن «الرجل قدّم تنازلاً كبيراً»، كلاهما مبالغ فيه، «فاذا حصل تنازل، فقد تمّ من جانب الطرف الآخر الذي رفض حتى الآن الظهور مع اسرائيل في وضح النهار» (المصدر نفسه).

وميّز برويس بين ما سمّاه «فرص مؤتمر السلام» و«فرص السلام». ورأى انه من الجدير ادراك هذا الفارق، وتكراره على المسامع في كل حين، «لأنه سبق وعقدت مؤتمرات، قادت الى الحروب، نظراً الى انه لم يتمّ التوصل فيها الى اتفاق، أو لأن ما نتج عنها كان، عملياً، اتفاقاً مفروضاً وغير مقبول من جانب كل الاطراف، كما حصل في ميونيخ» (المصدر نفسه).

اعتراضات اسرائيلية

لم تكن الموافقة الاسرائيلية على المشاركة في المؤتمر على أساس الدعوة الاميركية ـ السوفياتية نهاية المطاف في نهج المماحكة الاسرائيلية حول مختلف الجوانب الاجرائية، المتعلّقة بالمؤتمر، ولا في المحاولات لتحديد جدول أعمال المحادثات ونتائجها. فقد واصل شامير وحكومته هذا النهج الى حين افتتاح المؤتمر. فقد حذّرت اسرائيل الولايات المتحدة الاميركية من انها لن تتحمّل وجود أعضاء